

اسم البرنامج: مراسلو الجزيرة

عنوان الحلقة: مدينة سبسطية، بلدة القوش، البدو الرحل بموريتانيا

مقدمة الحلقة: إلسي أبي عاصي

تاريخ الحلقة: 2014/١/٧

المحاور:

- التهويد يحاصر سبسطية التاريخية

- القوش العراقية.. أطلال يتأكلها الزمن

- بدو موريتانيا الرحل.. حياة مغلقة بنكهة الماضي العريق

إلسي أبي عاصي: في هذه الحلقة؛ سبسطية بلدة تاريخية فلسطينية تواجه خطر الاستيطان والتهويد، وفي العراق مدينة القوش التاريخية شاهدة على التنوع الثقافي والحضاري لبلاد الرافدين، ومن موريتانيا صور من أنماط معيشة البدو الرحل في المناطق النائية، تحية لكم مشاهدينا الكرام ومرحبا إلى هذه الحلقة من برنامج مراسلو الجزيرة.

سبسطية بلدة فلسطينية ذات تاريخ عريق وحضارة ممتدة لأكثر من ثلاثة آلاف سنة، يطلق عليها بعض المؤرخين لقب عاصمة الرومان في فلسطين وبها آثار تدل على الحضارات الكثيرة التي تعاقبت عليها، لكن سبسطية تقع ضمن المناطق التي تسيطر عليها إسرائيل أمنيا وإداريا وهو ما حال حتى الآن دون ترميم آثارها وتطويرها، جيفارا البديري زارت سبسطية وعادت بهذا التقرير عن المحاولات الإسرائيلية لتهويد هذه البلدة التاريخية.

[تقرير مسجل]

التهويد يحاصر سبسطية التاريخية

جيفارا البديري: حصّنتها الطبيعة قبل أن تحصّنها الأسوار فرضت نفسها بموقعها وتضاريسها على حضارات رست سفنها وتركت بصماتها، وعلى تلة يصل ارتفاعها

٤٤٠ مترا وعند نقطة التقاء طريقين رئيسيين عُرفا عبر التاريخ أحدهما يربط شمال فلسطين التاريخية بجنوبها والآخر يربط وادي الأردن بالبحر المتوسط وُجدت، كان ذلك قبل ثلاثة آلاف عام واليوم تقع في عمق الضفة الغربية إنها قلعة سبسطية الأثرية، الوصول إليها من داخل البلدة القديمة بأزقتها الضيقة التي تعكس حال الفلسطينيين اليوم ولكن عند التجول بين أثارها تتكشف ملامح التاريخ، الحكاية بدأت عام ٨٧٦ قبل الميلاد عندما بناها الملك عمري وحصنها وجعلها عاصمة له وسماها سماريا ومن بعدها تعاقبت الحضارات عليها.

[شريط مسجل]

ضرغام الفارس/مدير مواقع محافظات الشمال: ابتداء بالحضارة الكنعانية ثم فترة العصر الحديدي ثم الآشورية والبابلية والفارسية ثم الفترة الهيلينية أو اليونانية وبعدها الفترة الرومانية ثم البيزنطية ثم دخلت بالفترة الإسلامية مع فترة مستقطعة اللي هي فترة الصليبيين.

جيفارا البديري: وتركت كل حضارة بصماتها من خلال القصور والمدرجات.

[شريط مسجل]

ضرغام الفارس: أهم المواقع الموجودة في سبسطية عنا منطقة قصر عمري اللي بتمثل فترة الـ Iron Age 2 اللي هي ٨٧٦ قبل الميلاد في عنا فترات أخرى تتعلق باليونانيين وأهمها البرج الهلينيستي الموجود إلى الجنوب من المدرج الروماني، بالفترة الرومانية في برجين وسور للمدينة وبرجين على مدخل المدينة وشارع أعمدة كان بطول ٨٠٠ متر وعلى الجانبين كان في أعمدة حوالي ٦٠٠ عامود اللي هو شارع الأعمدة.

جيفارا البديري: وفي هذه الحفرة تقع المقبرة الملكية ولكنها تعرضت في السنوات الماضية للاعتداءات الإسرائيلية، فالمستوطنون وتجار الآثار حاولوا سرقتها ونصبوا هذه الأعمدة الخشبية لرفعها ولكن المحاولات باءت بالفشل، مقابر أخرى لكنها ليست تاريخية فقط بقدر أهميتها الدينية من بينها ما يقول المؤرخون إنه قبر النبي يحيى عليه السلام أو كما يعرفه المسيحيون بيوحنا المعمدان، الرواية التاريخية تقول أن الملك هاروت أنتي باس قتله عام ٣٠ للميلاد قرب البحر الميت ونقل جثمانه إلى هنا لكن الملك ندم على فعلته فأمر بنحت تمثال يوحى بالندم، وهكذا اتخذت المدينة صبغة دينية

وأصبحت مزارا للسياح والحجاج الأجانب، كانت المحاولات الفلسطينية لإبقائها ضمن مسار الحج المسيحي لكن إسرائيل حالت دون ذلك، وإمعانا في كسر إرادة الصبر لدى الفلسطينيين أقيمت مستوطنة على أراضي سبسطية والقرى المجاورة الهدف منها وفق الأهالي هو الإيهام بأن كل هذه الآثار يهودية إضافة إلى الاستيلاء على مزيد من الأراضي.

[شريط مسجل]

أحد سكان سبسطية: مصادرة الأراضي، اثنان: مشروع المجاري الفالطة على الأراضي الزراعية في أراضي سبسطية والقرى المجاورة طبعا، وهذا الشيء يعمل مكرهة صحية ويؤثر على المزارعين وعلى أصحاب الأراضي من ناحية، من ناحية ثانية وجود المستوطنة طبعا اللي هي تكون عائق أمام أي تقدم للمنطقة المجاورة هنا كاملة مش فقط سبسطية.

جيفارا البديري: يضاف إلى الانتهاكات وكمثل بسيط هذا الطريق الأثري الذي يحتاج إلى الترميم لكن سلطات الاحتلال ترفض لحجج أمنية أهمها حماية المستوطنة، وهنا تظهر التعقيدات فالقرية الفلسطينية ليست تحت السيطرة الإسرائيلية وعلى بعد أمتار حيث كل المواقع الأثرية فإنها تحت سيطرة الاحتلال والمستوطنين، الأنكى وكون إسرائيل تسيطر على كثير من مواقعها فإن سياحا يؤتون عبرها لكنهم لم يعرفوا أنهم في أراضٍ فلسطينية.

[شريط مسجل]

سائح إيطالي: هذه منطقة مسيحية مهمة تقوم إسرائيل بحمايتها، زرت إسرائيل مرات كثيرة ولكن هذه أول مرة آتي إلى هنا.

جيفارا البديري: ولمواجهة السياسات الإسرائيلية تحاول المؤسسات الفلسطينية تشجيع السياح للقدوم عبرها، ولكن الأهم الآن هو الجهد المبذول دوليا لتدرجها منظمة اليونسكو ضمن قائمة التراث العالمي من أجل حمايتها.

[شريط مسجل]

أحد المسؤولين الفلسطينيين: فكان موقع سبسطية واحد من ٢٠ موقع ضمن هذه القائمة

وستعمل الوزارة خلال السنوات القادمة لتقديم هذا الموقع واعتماده كموقع محمي على قائمة التراث العالمي، لأنه السنة الماضية تم تسجيل بيت لحم، السنة هذه تم تقديم ملف بتير، وتحاول الوزارة على إعداد سلسلة من المشاريع التي يمكن تخدم سببسية حاليا ومستقبليا، كان أحد هذه المشاريع التي هو مشروع تخطيط متكامل لحماية المشهد الثقافي في سببسية بجميع عناصره سواء الموقع الأثري أو الموقع التاريخي أو البلدة الجديدة والمشهد الثقافي.

جيفارا البديري: سببسية هي نموذج لمعظم المواقع التاريخية والدينية والأثرية تقع ضمن مساحة ٦٠ % من الضفة الغربية، لكن إسرائيل تسيطر عليها بالكامل ويرى الفلسطينيون أن ذلك لم يأت عبثا بل كان مقصودا. مر من هنا قادة وممالك وحضارات واجهوا الغزاة ولم يغادروا قبل أن يتركوا بصماتهم في كل بقعة، غادروا ليتركوها تروي التاريخ وتواجه اليوم مستقبلا غزاته مختلفون يحاولون بكل الطرق طمس هذا التاريخ والإيهام بأنهم صناع الحضارة، لكنها كغيرها من مدن فلسطين تصمد بأهلها للحفاظ على الحاضر والبناء للمستقبل، لبرنامج مراسلو الجزيرة جيفارا البديري من بلدة سببسية غربي نابلس.

[نهاية التقرير]

السي أبي عاصي: ومن سببسية الفلسطينية ومواقعها الأثرية إلى العراق وتحديدًا إلى بلدة القوش، تقع القوش على بعد نحو ٥٠ كم من الموصل مركز محافظة نينوى التي كانت عاصمة الإمبراطورية الآشورية قبل نحو ٢٧٠٠ سنة، تحتوي القوش على العديد من الآثار التاريخية والدينية أبرزها مقبرة النبي ناحوم القوشي الذي يعد أحد أنبياء بني إسرائيل والتي يعود تاريخها إلى ٧ قرون قبل السيد المسيح، أيوب رضا زار القوش وعاد بهذا التقرير عن التنوع الثقافي والديني فيها.

[تقرير مسجل]

القوش العراقية.. أطلال يتآكلها الزمن

أيوب رضا: سكان القوش هم من الكلدان النساطرة ولغتهم هي الكلدانية الآشورية، يرتبط تاريخ المدينة بالإمبراطورية الآشورية التي حكمت مساحات شاسعة وصلت إلى أواسط إيران الحالية شرقا وصعيد مصر غربا، أبرز حواضرها كنيس ومقبرة النبي ناحوم

القوشي معنى اسمه المعزيّ وهو أحد الأنبياء الأصغر سنا من بين أنبياء بني إسرائيل الاثني عشر.

بعد ساعات من المسير وصلنا إلى بلدة القوش في الموصل، حيث يقع كنيس يهودي قديم وهنا أيضا مقبرة نبي بني إسرائيل النبي ناحوم؛ تفضلوا معنا.

طبعا هذا هو قبر النبي ناحوم أحد أنبياء بني إسرائيل كما قلنا، ناحوم المعزيّ هو أحد كتبة العهد القديم وسفره هو الرابع والثلاثون يتنبأ فيه بخراب نينوى بسبب خطاياها بأسلوب شعري، ومعروف في التاريخ القديم حملات الآشوريين على فلسطين القديمة واحتلال عاصمتها وسبي اليهود وتحويلهم إلى عبيد في بلاد آشور، وترجح المصادر أن هذا السفر كُتب قبل أن يخرب الكلدانيون والماديون نينوى عام ٦١٢ قبل الميلاد.

[شريط مسجل]

غزوان رزق الله/مدير المنتدى الثقافي في القوش: هذه البلدة بإمكانياتهم البسيطة حافظوا على هذا المعبد الأثري المقدس بإمكانياتهم المتواضعة، لكن أنا أسأل الحكومة المعنيين بالحفاظ على التاريخ والإرث الحضاري، أين أنتم من هذا الإرث الحضاري الذي هو إرث بالمحصلة النهائية هو إرث للعراق!

أيوب رضا: تقول رواية أخرى إن قبر ناحوم يقع في إحدى قرى الجليل بفلسطين، فيما ترجح المصادر والوقائع أن القبر الموجود في القوش الآشورية هو قبر ناحوم لوجود المزار والكنيس في المنطقة ولأن اليهود يزورونه كلما سنحت لهم الفرصة كما حدث قبل أيام وتتم هذه الزيارات بسرية.

وكما ترون في هذه الزاوية تظهر آثار دخان بسبب إشعال الشموع أثناء الترانيم أو الطقوس أو تلاوة الصلوات، مثلا هذه الشمعة تستخدم بشكل خاص في هكذا طقوس وكما نرى هنا يظهر حائط المبكى وأيضا النجمة السداسية وهذه الشمعة خاصة بهكذا مناسبات عند اليهود.

هذان المنزلان كانا لعائلة موشيه وهو مواطن يهودي ورثت عائلته أبا عن جد حراسة مقبرة ناحوم وكان آخر اليهود الباقين إلى أن هاجر عام ١٩٥٠ بعد أن هاجرت العائلات اليهودية في العام ١٩٤٨ إلى فلسطين المحتلة، تأثير الطراز العمراني لكنيس ناحوم يظهر جليا على بيوت القوش القديمة الآيلة للسقوط أو التي صمدت حتى اليوم، وهنا

تظهر القناطر بين الأحياء الضيقة لتُكوّن ممرات تربط بين حي وآخر.

ولكن سكان هذه الأحياء القديمة يعانون من الإهمال الحكومي على حد قولهم، بينما هاجر غالبيتهم إلى الخارج ففي السنوات الثلاث الأخيرة هاجر ثلاثة آلاف كلداني من القوش إلى الولايات المتحدة.

أيوب رضا: صباح الخير عمو.

من سكان مدينة القوش: هلا حبيبي صباح النور، كل الهلا بكم.

أيوب رضا: كيف الحال؟

من سكان مدينة القوش: الحمد لله أهلا وسهلا يا مرحبا أستريح بابا استريحوا هلا حبيبي هلا عزيزي..

أيوب رضا: احك لنا عن محللكم عن..

من سكان مدينة القوش: محلتنا محلة قاشان قبل كانوا يسموها محلة تحتاني بعدين بعد العادات صارت محلة قاشان، وعندنا بعد محلات، عنا حي سينا حي قردا حي الزراعي، وشي ثاني هذه منطقة قديمة بس مع الأسف متروكة منكوبة هي ما بها كل حاجة ناس كلهم راحوا هاجروا شوارها تعبانة.

أيوب رضا: يمكن يريدون يحافظون عليها كمنطقة أثرية!

من سكان مدينة القوش: أدري بس يعني مو لهذه الدرجة يعني البيوت هسه حاشكم طير ما يقدر يعيش فيها هنا، ليش؟ متروكة هي ماكو مين يسأل عليها ماكو مين اللي يجيء يتابع الظروف بالمنطقة.

أيوب رضا: دير الربان هرمزد يكاد أن يكون جوهرة في الجبل تتخلله ممرات ضيقة تؤدي إلى خلوة الربانبة، فإلى جانب الربان هرمزد دفن في الدير العتيق تسعة مطارنة توالوا بعده في نشر تعاليم المسيحية في المنطقة فازداد عدد تلاميذته وتوسع نفوذ الكنيسة الكلدانية في المنطقة.

[شريط مسجل]

جبرائيل كوركيس/رئيس دير رهبان هرمزد والسيدة العذراء: ربان هرمزد أعطى رائحة القداسة لرهبانه وللمنطقة كلها، قصدوا الدير كثيرين من الناس صار مقر لبطريك كنيسة العراق كلها اللي كانت تسيطر.. تصل سيطرتها إلى الهند والصين.

أيوب رضا: أخبار هذا الربان لا تزال الألسن تتناقلها من جيل إلى جيل فقد زرع في نفوس الكثيرين الإيمان بل وكان متخصصا في طرد الشياطين كما تقول الحكايات.

مضت قرون عديدة تخللتها ثورات وغزوات عصفت ببلاد الرافدين، لكن الحنين لا يزال يشد الأجيال الجديدة إلى ماضيها وإرثها الثقافي والديني المتنوع، أيوب رضا لبرنامج مراسلو الجزيرة- مدينة القوش.

[نهاية التقرير]

إلسي أبي عاصي: مشاهدنا الكرام نتابع معكم هذه الحلقة من برنامج مراسلو الجزيرة وتشاهدون فيها بعد قليل، من موريتانيا "صور من أنماط معيشة بدو الرحل في المناطق النائية".

[فاصل إعلاني]

بدو موريتانيا الرحل.. حياة مغلقة بنكهة الماضي العريق

إلسي أبي عاصي: أهلا بكم من جديد، إلى موريتانيا الآن حيث لا يزال بعض السكان يعيشون حياة البدو الرحل وهم يجولون في البلاد بحثا عن المناطق الرعوية التي تشهد أكبر نسبة هطول للأمطار، يعتمدون في حياتهم على كل ما هو طبيعي من لبن ولحوم ووبر لصناعة الخيام وجلود لصناعة أدواتهم المنزلية، زينب بنت أربيه زارت البدو الرحل وتعرفت على نمط حياتهم ونقلته لنا في هذا التقرير.

[تقرير مسجل]

زينب بنت أربيه: نحن في مكان ما في أقصى الشرق الموريتاني، على مد البصر يبدو المشهد متشابها إن لم يكن متطابقا، من السهل على الغريب هنا أن يضل طريقه بل لنقل من المستحيل عليه الوصول إلى وجهته دون الاستعانة بخبير وهذا ما فعلناه، تبدأ الرحلة باقتفاء آثار السيارات ينبغي على مرشدك التمتع بمهارات فائقة تجعله يستعين بأنواع

الأشجار والنبات والحيوان لإيصالك إلى بر الأمان بعد أن تبتعد مئات الكيلومترات عن مدينة العيون عاصمة ولاية الحوض الغربي.

في هذا الركن النائي يختار الحسن الإقامة، وصلنا مع شروق الشمس وكانت الحياة تدب في المكان، الحسن يعزل صغار الخراف عن باقي القطيع ثم يرشدها إلى المناطق التي تتوفر فيها كميات من أجود أنواع العشب.

وفي مشهد آخر فاجئنا علي بمهاراته العالية، فرغم صغر سنه أظهر قدرة لافتة على التعامل مع هذه الدابة فهو وتاماً كما يفعل الكبار يضع السرج عليها ويحمل معه كافة المستلزمات التي سيحتاجها فقد نشأت بينهما صداقة حميمة.

يحرص سكان البادية على تنشئة أبنائهم منذ الصغر على تحمل المسؤولية، وهذا من الأسباب الرئيسية التي جعلتهم يختارون المكوث هنا بعيداً عن المدينة وترفها، ويمضي علي في رحلة الاعتناء بقطيع الإبل لمدة يوم كامل دون تدمر.

إذا كان من عنوان للحياة هنا فهو البساطة، قطعة القماش هذه هي المقر الرسمي للعائلة بأكملها يتطلب بناؤها بعض الجهد اعتاد عيشة على القيام به بمساعدة الصغار، ينبغي تثبيت الأوتاد جيداً لتصمد الخيمة أمام العواصف الرملية والأمطار كما تشد الحبال إلى أقصى درجة ليزيد ذلك من ارتفاع الغطاء، بعد هذه الإجراءات تشرع عيشة في إعداد وجبة الفطور، الحليب يوضع داخل قطعة مصنوعة من جلد الماعز ويتم رجه جيداً قبل الاستخدام، اختارت أسرة عيشة هذا النمط من الحياة رغم أنها تملك قطعاً من الإبل والغنم والبقر يقدر ثمنها بآلاف الدولارات لكي خيارها جاء لحماية هذه الثروة والاعتناء بها في محيطها الطبيعي.

[شريط مسجل]

عيشة بنت محمد محمود/من سكان البادية الموريتانية: اخترنا الحياة في البادية لأننا نعنتي بماشينتنا التي تعيش في بيئة تتوفر لها نوعية مناسبة من الأشجار والعشب ونحن أيضاً نحصل على الحليب الصحي الجيد لأن مواشينا تتغذى بشكل طبيعي وليس بالأعلاف المستوردة.

زينب بنت أربييه: تحديد مكان الإقامة في البوادي يخضع لعدة معايير من ضمنها كثافة العشب وقلة القاطنين وتوفر أنواع معينة من الأشجار تكون مغذية للماشية، لكن هناك عاملاً أساسياً بارزاً آخر هو مجاورة الآبار، فسكان الأرياف يتسابقون إلى نقاط المياه المحدودة خاصة في فصل الصيف، عند مرورنا كان محمد هو المسؤول عن توزيع

المياه على الماشية التي تتدافع من كل صوب باتجاهه، لم يعكر ذلك صفوه لأنه اعتاد على هذا العمل منذ عقود، المهمة تتطلب مجهودا عضليا وقدرة على تسخير الموارد التي قد تكون أحيانا أقل بكثير من الطلب.

[شريط مسجل]

محمد ولد سيدي/مسؤول عن البئر: الماء متوفر في هذه الفترة أما في فصل الصيف فينضب بشكل كلي بسبب الزحمة التي يشهدها نظرا لكثرة أعداد الماشية.

زينب بنت أربيه: عندما غادرنا البئر وخلال جولتنا في هذه المناطق الشاسعة صادفنا شخصا يقود قطيعا كبيرا من الأغنام تابعنا مسيرته كانت خطواته متسارعة واندھشنا من طول المسافات التي يقطعها دون توقف، تبين فيما بعد أن الأغنام ليست ملكه وأنها ليست للبيع بل هو مكلف من قبل أصحابها برعايتها والاعتناء بها طوال اليوم، رافقناه وشاهدنا مدى العناية التي يحيطها بها وكيف يختار لها المكان المناسب ويحرص على لّم شملها كلما أرادت أن تنتشت في المراعي.

[شريط مسجل]

عبد الله محمد/راعي غنم: في الصباح الباكر أتفقد الأغنام وأقسمهم على وحدات أقطع مسافة أتوقف وأتناول بعض الطعام، بعد القيلولة أقوم بجولة أخرى ثم أعيد الأغنام إلى أصحابها.

زينب بنت أربيه: يسارع عبد الله الخطي ويعود أدراجه وكما في طريق الذهاب يتفقد القطيع فعليه أن يوصل الأمانة إلى أصحابها قبل الغروب، قد تبدو الحياة في هذه المناطق قاسية وموحشة خاصة بالنسبة لمن ألف الإقامة في المدن واستفاد من التسهيلات التي تقدمها، لكن البدو الرحل ألفوا هذا النمط من الحياة ويرفضون بقوة إدخال تعديلات عليه، زينب بنت أربيه الجزيرة لبرنامج مراسلو الجزيرة، من ضواحي مدينة العيون شرقي موريتانيا.

[نهاية التقرير]

إلسي أبي عاصي: وبتقرير زينب بنت أربيه عن حياة البدو الرحل في موريتانيا نصل إلى ختام هذه الحلقة من برنامج مراسلو الجزيرة، موعدا يتجدد معكم الأسبوع القادم في حلقة جديدة وتشاهدون فيها: بريطانيا ترسخ مكانتها العلمية والثقافية بتشديد أكبر مكتبة عامة في أوروبا، وفي البوسنة الساعة الوحيدة في العالم التي تعمل وفق التقويم القمري، ومن كاليفورنيا قصة أميركي عشق الخط العربي فأبدع فيه.